الفصل الثالث
التواصل العربي مع الرأي العام الأجنبي

الإعلام العربي الموجه للرأي العام الأجنبي قضية متجددة، وقد أعيد طرحها للنقاش بفعل وطأة تشويه الإعلام الغربي المتصهين للانتفاضة الفلسطينية، ثم جاءت أحداث سبتمبر 2001 ، فالحرب الأميركية على أفغانستان والعراق، لتعمق إحساسنا بأهمية هذه القضية.

لقد تنبه البعض في بلادنا ،خاصة بعد أحداث سبتمبر 2001، إلى تزايد أهمية التواصل العربي بالصوت والصورة مع الآخر الحضاري بلغته، ودعا هؤلاء إلى تأسيس فضائيات ناطقة باللغة الإنجليزية، وأسجل هنا أنني كنت قبل سنوات طويلة من ذلك الحدث الجلل، قد تنبهت إلى الأهمية القصوى لدور الإعلام العربي الناطق بغير اللغة العربية وغير الخاضع للسلطات، ولهذا شرعت في إصدار نشرات صحفية مترجمة موجهة للدبلوماسيين والمراسلين والباحثين الأجانب باللغة الإنجليزية.

إنني أعتقد أن قدراتنا على التواصل المباشر مع الآخر الحضاري ستظل محدودة، وذلك لأن المواطن الأجنبي العادي لا يمكن أن يترك وسائله الإعلامية المحلية ويتحول إلى وسيلة إعلامية عربية ولو كانت تخاطبه بلغته، **ويضاف إلى ذلك**: أن لدى الآخر الغربي تحديدا شعورا بالاستعلاء على أصحاب الحضارات الأخرى، **ولعل ذلك يجد تفسيره في مقولة ابن خلدون**: "المغلوب مولع بتقليد الغالب"، وبالتالي، فالغالب يتوقع منا أن

نقلده ونتابع إعلامه، وليس أن يتابع هو إعلامنا الموجَّه ولو كان باللغات الإنجليزية أو الفرنسية ...إلخ.

لقد أدركت ذلك مبكرا ولهذا أسست مشروعًا إعلاميًّا يهدف إلى مخاطبة الوسطاء بيننا وبين المجتمعات الأجنبية، **والوسطاء في هذه الحالة هم:** الدبلوماسيون والمراسلون والباحثون الأجانب.

ومن بين الأهداف التي اتخذتها للمشروع في بدايته بخلاف كسر حاجز الجهل بلغتنا العربية:

1- ترجمة الأخبار والتقارير والمقالات والتحقيقات الصحفية المنشورة مع مراعاة الدقة والأمانة والتوازن والشمول.

2- مساعدة الصحفيين والدبلوماسيين والباحثين الأجانب وبعض المنظمات الدولية بترشيح مترجمين ومساعدين أكفاء.

بدأت هذا المشروع في منتصف مايو 1985 كوكالة خدمات صحفية خاصة لترجمة أهم ما تنشره الصحف والمجلات المصرية والعربية إلى اللغة الإنجليزية.

تجربتنا المتواضعة يناهز عمرها الآن (عام 2009) أربعة وعشرين عاما، وبرغم طابعها التجاري، إلا أن أهم دوافعها كان - ولا يزال- الدافع الحضاري، فنحن مجرد ناقل أمين وموضوعي إلى أقصى درجة لما تنشره الصحافة العربية المكتوبة، حكومية كانت أو معارضة أو مهاجرة.

تاريخيا يوجد في مصر وكثير من الدول العربية صحف وخدمات إذاعية حكومية ناطقة بالإنجليزية، وهي في معظمها فيما أظن قليلة الفائدة

للمتلقي الأجنبي، الأسباب عديدة لكن أهمها عندي هو: الرقابة الحكومية، وملكية معظم تلك الصحف والخدمات للدولة.

لقد وجدت النخب الأجنبية المتلقية لترجماتنا الصحفية اليومية فرقا ملحوظا بين المواد المترجمة حكوميا بالإنجليزية، وتلك التي كنا نترجمها نقلا عن الصحافة الناطقة بالعربية، وقد اكتشفنا هذه الحقيقة من حسن استقبال الأجانب نشراتنا المترجمة.

وللحقيقة والتاريخ فقد سبقت مشروعنا بعض الترجمات والنشرات الشبيهة، **وأخص على وجهة التحديد**: خدمة مترجمة عن العربية كان بعض اللبنانيين يصدرونها في قبرص ويرسلونها بانتظام إلى مكاتب الإعلام الأجنبي والسفارات بالقاهرة.

لم تكن تلك الترجمات أو النشرات تتصف بالصدق والتوازن في النقل والترجمة كما ذكرت من قبل، ولقد اكتشفت ذلك بنفسي بعد الاشتراك في إحداها لعدة أشهر، وبعد تحليل مضمونها ظهر أن للقائمين عليها أجندة طائفية مقيتة. (كان أصحاب تلك الخدمة قد هاجروا من بيروت أثناء الحرب الأهلية واستقروا في نيقوسيا عاصمة قبرص).

لقد كانت ترجماتهم وتحليلاتهم لأحداث مصر والمنطقة العربية تنضح بخصومة شديدة، بل وحقد على هويتنا الحضارية العربية الإسلامية.

أما الـ CPR وهي النشرة المترجمة إلى الإنجليزية، التي كانت وكالة الأنباء الحكومية المصرية تصدرها، فاقتصرت - حتى بعد عام أو أكثر من بدء إصدار نشراتنا- على ترجمة بعض أخبار وافتتاحيات الصحف المسماة

بالقومية فقط، وظلت الصحف المعارضة لمدة سنوات مهملة تماما في نشرة الوكالة، فضلا عن غياب أي ترجمات من الصحف والمجلات العربية الشهيرة كالشرق الأوسط ، ثم الحياة والقدس العربي لاحقا أو المجلة أو الحوادث .. إلخ.

* * *

الجاليات العربية والإسلامية

جسر للتواصل أم جزر للانعزال؟

إن التواصل الإعلامي المؤثر في كثير من شرائح الرأي العام الأجنبي، يحتاج وسائل أخرى غير وسائل الاتصال الجماهيري، **وأعني بذلك:** وسائل الاتصال المباشر، عبر الجاليات العربية والإسلامية بالخارج، وبعض المراكز الثقافية التي يجب أن يحسن اختيار القائمين عليها، وأضيف إلى ذلك وسائل الجذب السياحي والتفاني في خدمة السائحين القادمين إلى بلادنا. وأخيرا يجب تفعيل الدبلوماسية الشعبية، أي: تشجيع التبادل والاتصال الخارجي مع الاتحادات الطلابية والنقابات المهنية والعمالية والجمعيات الأهلية والنوادي الرياضة... إلخ.

إن التفاعل الجيد من جانب الوطن الأم مع جالياته المهاجرة يمكن أن يثمر إيجابيات عديدة في هذا الصدد، ولسنا بحاجة هنا للتذكير بالتجمعات اليهودية العالمية، ودورها النافذ والمؤثر على صناع القرار وقادة الرأي العام في أميركا وأوروبا ودول آسيا وأفريقيا ذات الوزن، لصالح دولة الكيان الصهيوني.

لقد أساء التعامل الحكومي مع معظم الجاليات العربية ، وبدلا من أن يستفاد بتلك الجاليات على نطاق التأثير الخارجي إذا بالنظم الشمولية العربية تعدهم جزءا من مجتمعها الداخلي، وتمارس فيهم أدوات القمع والدس وتأليب بعضهم على بعض، أو تجنيد البعض للتجسس وكتابة التقارير الأمنية.

ولا شك أن ثمة مشكلات وتعقيدات نفسية كثيرة تعيشها الجاليات العربية والإسلامية في الخارج، الأمر الذي يصعب دورها الاتصالي بالآخر الحضاري، فقد كانت الهجرة من المجتمعات الأم مدفوعة إما بالتضييق السياسي أو قلة فرص العمل أو انتشار المحسوبية والفساد الإداري في شتى مرافق وإدارات الوطن الأم، ولهذا أصبح ولاء بعض مجموعات أو أفراد تلك الجاليات للثقافة العربية والإسلامية منعدما، بل وربما تولدت لدى بعضهم رغبات انتقامية بشكل أو آخر، قد تترجم تلك الرغبات أحيانا بالتشهير بالهوية الأصلية أو الانسحاق الثقافي التام، ويحتفظ كثير من المهاجرين البسطاء بكثير من الأمراض الاجتماعية والثقافية التي أصيبوا بها قبل الهجرة، كاللامبالاة أو الضحالة الفكرية، وضيق الأفق الحضاري وهو ما أدى إلى انتشار الخلافات والصراعات بينهم على مسمع ومرأى من مجتمعاتهم الجديدة.

وبرغم كل ذلك يبقى الأمل في أن تنتبه النخب المهاجرة إلى حقيقة دورها الإنساني نحو الآخر الحضاري، وعليها أن توقظ في الجاليات روح الاعتزاز بالجوانب الإنسانية العظيمة في حضارتنا، وأن يتحول كل منهم إلى ناقل ومرسل للرسالة ليس بالكلام بل بالنموذج الحياتي فيصبح كل منهم عنوانا على حضارته.

المفصل الاتصالي

تحدثنا عن صعوبة التواصل العربي المباشر مع عموم الرأي العام الأجنبي بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية المعروفة، لكن الحقيقة أن لدينا إمكانات لا بأس بها للتواصل مع عناصر المفصل الأساسي الوسيط في

العلاقة بيننا وبين ذلك الرأي العام، وهم فئات النخبة المهتمة بنا؛ كالدبلوماسيين، والمراسلين الصحفيين، والباحثين الأكاديميين الأجانب في المنطقة العربية، فمن رأيي أننا يجب أن نعيد دراسة وتقويم كل ما يحيط بعملهم في بلادنا، ويجب أن تناط مسئولية التعامل معهم بجهات وأفراد يتمتعون بمهارات اتصالية ومعلوماتية رصينة من غير مشتتي الولاء الثقافي.

ويجب أن ندرك دون حساسية، أن المتلقي الأجنبي للرسالة الإعلامية العربية لا ولن يصدق كثيرا من وسائل إعلام نظم الحكم الديكتاتورية التي تقمع شعوبها أو تنتقص من حقوق الإنسان في بلادها، وعلى ذلك فليوفر كل نظام عربي يتصف بهذه الصفات الأموال التي ينفقها في هذا المجال (صحافة وإذاعات وفضائيات موجهة باللغات الأجنبية ومستشارين ومكاتب ثقافية وإعلامية بالخارج ... إلخ).

إدارة الأجانب الإعلام العربي الناطق بالإنجليزية

سألني سكرتير صحفي لزعيم سياسي عربي محترم عن رأيي وتقيمي لقناة الجزيرة الناطقة بالإنجليزية، كنت والمدير الإقليمي لصحيفة أساهي شيمبون ننتظر في صالون مكتب ذلك السياسي العربي لإجراء حوار صحفي معه، ترجمت السؤال للزميل الأجنبي وبدا لي أنه أيضا مهتم بسماع إجابتي، فقلت للاثنين بالإنجليزية ما ترجمته:

إن فكرة محطة عربية ناطقة بالإنجليزية فكرة نبيلة من حيث هدفها، لكن رأيي المتواضع أن هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق على أيادي إدارة صحفية أجنبية، **ووجهت كلامي إلى الصحفي الياباني قائلا**: تخيل لو أن

بلدك اليابان قررت إنشاء محطة في وزن الـ"إن إتش كي" للتواصل مع الرأي العام الهندي أو الصيني، وأن الحكومة اليابانية أسندت المهمة إلى صحفيين من هاتين الدولتين المنافستين، هل تراهم يستطيعون فعلا نقل الرسالة الإعلامية اليابانية إلى الهنود والصينيين بشكل جيد؟ هز الياباني كتفيه ومط شفتيه تعبيرا عن النفي.

توجهت بكلامي بعد ذلك إلى السكرتير الصحفي للمسئول العربي: لقد سألت أنا يوما ما نفس سؤالك الدكتور عبد الوهاب المسيري (يرحمه الله). **وقلت له**: "باعتبار أنك عشت ردحا من الزمن في أميركا وتعرف خصائص الرأي العام والصحفيين الأميركيين والأوربيين عموما؛ هل تعتقد أن الأخيرين يمكن أن ينقلوا ويعكسوا أحداثنا العربية وقضايانا بشكل موضوعي وبلا تأثيرات سلبية ناتجة من قناعاتهم المسبقة أو ضحالة معرفتهم بثقافتنا وهويتنا؟".

وواصلت إجابة سؤالي قائلا لسكرتير الزعيم العربي: إن الدكتور المسيري يرحمه الله رد عليّ قائلا: "ولم لا"؟ ثم أردف: إن هؤلاء الأجانب العاملين في الجزيرة "الإنجليزية" جاءوا إليها من أجل المال الوفير الذي يتقاضونه كرواتب وحوافز ومزايا.

لم تعجبني إجابة المسيري وراجعته متسائلا: حتى لو كان لدى الأسماء الكبيرة من الصحفيين الأميركيين والأوروبيين أجنداتهم الخاصة؟

ثم أضفت: إن هؤلاء الزملاء ليسوا في مرحلة عمرية تجعلهم يتنازلون عن قناعاتهم المسبقة من أجل تحصيل المال. وانتهت جلستنا على الاختلاف.

وعدت إلى سائلي: لقد مر عام ونيف على بدء الجزيرة الناطقة بالإنجليزية، فهل تعلم أن عددا من كبار صحفييها الأجانب استقالوا أو "استقيلوا"؟ وهل تعلم أن إدارة شبكة الجزيرة تداركت الموقف بإنشاء قسم جديد أطلق عليه وحدة "الشرق الأوسط"؟ وقد أسندت إليها متابعة وتصحيح أية أخطاء ناجمة عن ضعف معرفة الزملاء الأجانب بخلفيات وثقافة المنطقة، ومن حق مسئولي تلك الوحدة التدخل لتصحيح أو منع أية أخطاء. الوحدة كان يرأسها حتى نهاية عام 2009 رئيس تحرير الجزيرة السابق الزميل إبراهيم هلال بمسمى نائب مدير، ويساعده خبيران؛ أحدهما من أمهر وأقدم الصحفيين التليفزيونيين المصريين والعرب، أما الآخر فيحمل درجة الماجستير في العلوم السياسية وقد عاش سنوات طويلة نسبيا في الولايات المتحدة.

شاهدة من أهلها

وقد حدث قبل أسابيع من تسليم مخطوطة هذا الكتاب إلى دار النشر أن التقيت بصحفية أجنبية ممن يعملون في محطة عربية ناطقة بالإنجليزية وقد سبق لها العمل في إحدى محطات تليفزيون بلدها الأوروبي الكبير، لفت نظري تحدثها بلغةٍ عربية لا بأس بها، عرفت منها أنها غير راضية عن أداء إدارة تحرير المحطة العربية.

وقد سألتها: لماذا قررت أن تأتي إلى منطقتنا؟ **أجابتني قائلة**: "قررت المجيء بعدما شاهدت مناظر وحوادث الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين في أوائل أيام الانتفاضة الأولى، كنت طالبة أعد رسالة دكتوراه في العلوم السياسية عن الجاليات العربية في فرنسا، وهناك حدث أن التقيت بمجموعة من الدارسين العرب فأصبحنا أصدقاء وكنت

الأجنبية الوحيدة بينهم. **وتضيف**: كانوا يشاهدون الأخبار القادمة من المنطقة العربية بانفعال فشاركتهم في البداية من باب المجاملة، ثم قررت الاهتمام أكثر بالقضية والمجيء إلى المنطقة بعدما التحقت بالعمل كصحفية في محطة تليفزيون كبرى في بلدي، **وردًّا على سؤال**: أين تعلمت اللغة العربية؟ **قالت**: نصحني زملائي العرب بأن أتعلم العربية في بيروت. وهناك زرت مخيم برج البراجنة، وتطورت علاقتي بمسئوليه فكنت أعلم أطفال المخيم اللغة الإنجليزية.

سألتها: وهل زرت إسرائيل؟ **قالت**: نعم.

أكدت لي الزميلة أن معظم مسئولي التحرير في وسائل الإعلام في بلدها الأوروبي الكبير يعملون ألف حساب كي لا يغضبوا إسرائيل، وكثيرا ما ينحازون ويحرفون المواد الآتية من مراسليهم المقيمين في المنطقة العربية.

فوجئت أن هذه الصحفية غير راضية عن تسليم إدارة تحرير المحطة العربية التي تعمل بها لأجانب، **وقالت لي**: إن بعضهم لا يعرفون ثقافة المنطقة العربية، أو يتصرفون كأنهم لايزالون يعملون في محطاتهم البريطانية أو الأميركية السابقة، هذا ما لم يكن لهم انحيازاتهم وأجنداتهم السياسية المسبقة. **قلت لها**: إن إدارة الشبكة تنبهت لهذه القضية وخصصت فريقا عربيا لمتابعة وتوجيه زملائها الأجانب إلى ما لا يعرفونه أو للحد من انحيازاتهم. **أجابتني قائلة**: إن وحدة الشرق الأوسط التي استحدثت خصيصا لتصحيح الأخطاء أو للحد من انحيازات الأجانب لا تملك صلاحيات قوية أو ربما اعتبر رأيها استشاريا.

وتقول الصحفية الأجنبية أنها تعتقد أن صغر دولة قطر لا يساعد الصحفيين الأجانب المقيمين والراغبين في التعرف على المنطقة العربية من الداخل. **وتضيف:** "أنا شخصيا لازلت أتحمل البقاء لأنني وجدت في قناة الجزيرة بالعربية نخبة من صحفيي الدول العربية، وأنا أستشير بعضهم بشأن الأحداث في الوطن العربي". (انتهى الاقتباس).

وبعد...،

فثمة حاجة ماسة إلى بحوث المشاهدين لكي تقطع الشك باليقين، ولابد أن تجرى تلك البحوث بأمانة وعلمية وصدق؛ ضمانا لصحة نتائجها، وأقصد بالنتائج أن نعرف على وجه الدقة من هي الشرائح الأجنبية المستهدفة؟ وهل تستطيع محطة عربية مثيرة للجدل في بيئتها الثقافية أن تقنع الرأي العام والنخب الأجنبية وصناع القرار غير العرب لمجرد امتلاكها إمكانات مالية وتقنية؟

هل رجل الشارع في أميركا أو بريطانيا أو اليابان أو الصين أو حتى نيجيريا أو سيريلانكا سوف يعطي ظهره للـ بي بي سي أو الـ سي إن إن فضلا عن محطات بلاده، كي يشاهد خدمة ناطقة بالإنجليزية تبثها محطة عربية ذائعة الصيت؟

ربما يجيب البعض: نعم سوف يتجه بعض الأجانب إلى مشاهدة الخدمة الإنجليزية العربية الممولة بأموال العرب، وبالذات في فترات قصيرة كحرب تنخرط في رحاها شباب الجيوش الأجنبية، أو في حالات منع دخول مراسلي صحافة الغرب إلى بعض الدول العربية.

أميركا تختبر مهنية الجزيرة

من المعلوم أن الولايات المتحدة كقوة عظمى لم تتردد في استخدام القوة الخشنة ضد قناة الجزيرة. وقد دمرت عمدا مكتبيها في أفغانستان والعراق، وقتلت أحد زملائنا في بغداد شر قتلة عام 2003، ومع ذلك فقد أرسلت أميركا قبل سنوات قليلة باحثين أكاديميين لدراسة قناة الجزيرة من داخلها ومعايشة العاملين فيها. وقد عرفت شخصيا باحثة من هؤلاء جاءت ومكثت أسابيع في غرفة الأخبار بدعوى إجراء بحث أكاديمي لجامعة أميركية. وقد ظلت الباحثة تطلب من بعض مسئولي التحرير تسجيلات كاملة لنشرات حصاد اليوم على مدى شهر أو يزيد. ولما يئست الباحثة من الحصول على تلك التسجيلات اهتدت إلى حل بسيط وهو: تسجيل النشرات بانتظام. ثم استأجرت من قام بتفريغ وترجمة الشرائط من العربية إلى الإنجليزية. وقد فهمت من الباحثة أنها كانت تبحث وتراقب مستوى مهنية الجزيرة في تعاملها مع أخبار الملف النووي الإيراني وملف العراق في فترة زمنية طولها شهر، عام 2006.

دكتوراه عن المراسلين الأميركيين في منطقتنا

عندما كنت بصدد الانتهاء من مخطوطة هذا الكتاب تلقيت من زميل صحفي أجنبي مقيم بالقاهرة نسخة رسالة دكتوراه بعنوان: التغطية الإعلامية للمراسل الأميركي لقضايا الشرق الأوسط: دراسة تطبيقية على القائم بالاتصال. الرسالة أعدها الباحث السعودي مطلق سعود المطيري – جامعة عين شمس عام 2007. وقد اختار عينة من ثلاثين من المراسلين الإعلاميين الأميركيين في القاهرة، ومضمون ما بث أو نشر في كل من قناة

سي إن إن ووكالة أنباء أسيوشيتد برس وجريدة لوس أنجلوس تايمز وإذاعة صوت أميركا وجريدة واشنطن بوست، الإطار الزمني للعينة التحليلية كان ستة أشهر من أكتوبر 2004 إلى مارس عام 2005.

وقد اطلعت على الرسالة مثمنا موضوعها، وفيما يلي موجز لأهم ما خلصت إليه:

- قام الباحث بتحليل (724) موضوعا جاءت موادها في وسائل الإعلام الأميركية عن الأحداث والقضايا التي طرأت على منطقة الشرق الأوسط في ستة أشهر، وهي تمثل ذروة الأحداث في المنطقة والتي تبدأ مع نهايات عام 2004 حتى مارس 2005.

- توصلت الدراسة إلى حقيقة مهمة مفادها: أن الإعلام الأميركي يمثل اليوم جزءا مهما من النظام السياسي الأميركي، وأن المراسل الإعلامي لوسائل الإعلام الأميركية في العالم يعد أحد أهم المصادر التي تعتمد عليها الخارجية الأميركية لتزويدها بالمعلومات التي تحتاج إليها عن المناطق والقضايا التي تدخل الولايات المتحدة طرفا فيها.

وتحت عنوان (النتائج العامة للدراسة) أجتزئ الفقرات التالية من ختام تلك الرسالة العلمية المهمة:

* يتضح أن عوامل القدرة المهنية والإلمام بقضايا المنطقة وشئونها والقدرة على استخدام اللغة العربية كانت من أهم أسباب اختيار المراسلين للعمل في منطقة الشرق الأوسط بغض النظر عن كون هذا القرار مجرد رغبة من الرؤساء، أو كونهم يملكون علاقات وثيقة مع القوى الفاعلة في

المنطقة، وهو ما يشير إلى أن قرار الإيفاد يأتي غالبا من منظور رغبة المحررين أنفسهم وتطلعاتهم لتغطية شئون المنطقة.

* تشير النتائج إلى أن المراسلين الإعلاميين قد اعتبروا أن أهمية منطقة الشرق الأوسط وموقعها الإستراتيجي يأتي في مقدمة الدوافع التي جعلت مؤسساتهم الإعلامية توفدهم إليها (بنسبة بلغت 93.3٪) من إجمالي الأسباب والدوافع المطروحة.

* أشارت نتائج التحليل إلى أن (50٪) من إجمالي المبحوثين يؤكدون وجود صعوبات كثيرة تواجههم في تنفيذ المهام التي يقومون بها، في حين ذكرت نسبة (33.7٪) أنهم يواجهون صعوبات إلى حد ما في تنفيذ مهامهم، وذكرت النسبة الباقية أنهم لا يواجهون صعوبات. في مقدمة تلك الصعوبات تجاهل القوى السياسية لدعوة المراسلين لتغطية أنشطتها، وقد احتلت هذه الصعوبة نسبة (84.6٪) تلاها وجود قيود أمنية واسعة في بعض البلاد وقد حظيت بنسبة كبيرة أيضا بلغت (76.9٪)، ثم نظرة الشك والريبة من بعض القوى السياسية تجاه دور المراسل الخارجي وحظيت بنسبة (61.5٪).

* أكدت الدراسة أن المراسلين الأميركيين يعتمدون على عدد من المصادر الرئيسية عند تغطيتهم لشئون الشرق الأوسط جاء في مقدمتهم: المفكرون والخبراء والمتخصصون بنسبة (22.4٪) من إجمالي المصادر، تلتها فئة المصادر الرسمية في جهاز السلطة التنفيذية بنسبة (20.7٪)، ثم: منظمات المجتمع المدني، ثم: ملاحظات المراسلين المباشرة من خلال معايشة الواقع والمشاركة في الأحداث، وتراجعت درجة الاعتماد على

المصادر الأخرى، مثل: المصادر القضائية والتشريعية، في حين احتلت المصادر الحزبية والجمهور العام مراتب متوسطة بين الفئات السابقة.

* **تشير نتائج الدراسة إلى أن:** المراسلين الأميركيين أكدوا على بعض الملامح الإيجابية في تصوراتهم نحو الشعوب العربية والإسلامية، يأتي في مقدمتها: "أن هذه الشعوب تتمتع بقدر كبير من "الطيبة". وقد بلغت نسبة هذه الملامح (40٪) من إجمالي التصورات المطروحة، وكذلك اعتقادهم "بمعقولية مستوى الوعي السياسي لشعوب المنطقة" بنسبة (12٪)، وأن نسبة كبيرة منهم لا تؤمن بأهمية التجرد الكامل من التصورات والقناعات الذاتية عند معالجتهم لشئون العالم العربي والإسلامي، الأمر الذي يمكن قياس أثره المباشر على رسائلهم المنقولة المتأثرة بهذه القناعات، وفقا لإجاباتهم أنفسهم، الأمر الذي يستدعي - وباستمرار- فتح حوارات مع هذه الفئة المهمة، ومناقشة تصوراتهم بشكل موضوعي في حلقات نقاش موسعة، دون محاولة التأثير المباشر فيهم(!!!) ومحاولة تصحيح ما قد يبدو ملتبسا لديهم نتيجة الاختلافات الثقافية القائمة.

* تشير النتائج إلى أن وسائل الإعلام الأميركية تقدم صورة غير متكاملة عن الواقع العربي والإسلامي، حيث حظي هذا البعد بنسبة كبيرة بلغت (93.3٪) يمثلون إجمالي من وافق على هذه المقولة من المراسلين الأميركيين، كما أنهم يعتبرون هذه الوسائل تقدم – فقط – صورة مشابهة لهذا الواقع، وبنسبة (76.7) يعتقدون أنها تقدم صورة مشوهة للواقع العربي والإسلامي، في حين ترى نسبة (33.3٪) أن هذه الوسائل الإعلامية تقدم صورة مغايرة للواقع العربي والإسلامي، وتعتقد النسبة الأقل (6.7٪)، أن هذه الوسائل الإعلامية تقدم صورة مطابقة للواقع،

وهي نتيجة تشير إلى إدراك المراسلين أنفسهم إلى أن رسائلهم ورسائل غيرهم يتم إخضاعها لعملية مهنية أخرى تسهم في عدم نقل الواقع من خلال صور موضوعية أو متكاملة.

* عند تغطية أخبار الشرق الأوسط في الإعلام الأميركي **يلاحظ أن:** بعض المحللين يتبنون الموقف الإسرائيلي، وفي المقابل يقدم البعض الآخر انتقادات هادئة للموقف الإسرائيلي من وجهة نظر متعاطفة، ويظهر طرف ثالث بصورة محايدة ودون اتخاذ موقف واضح. لكن لا يوجد ضمن هذا التباين من يتبنى الموقف العربي أو الإسلامي في أي من هذه القضايا، ولذلك فإن المواطن الأميركي يشعر بإحساس زائف بتباين المواقف، ولكنها في النهاية بمجموعها تصب في صالح التيار الصهيوني، على الرغم من أن نسبة اليهود بين الشعب الأميركي لا تتجاوز (2.8٪) من إجمالي السكان. أي أن اليهود لا يزيدون عن مواطن واحد من كل (40) أميركيا. في حين تصل نسبة الوجود اليهودي فيها إلى ما يزيد عن (70٪) من المناصب القيادية، وتصل نسبتهم في الوسائل الإعلامية إلى (95٪).

* **تشير نتائج الدراسة إلى:** أن الجوانب الإيجابية التي ركزت عليها تقارير المراسلين الأميركيين في تغطياتهم لشئون منطقة الشرق الأوسط يأتي في مقدمتها حرص الشعب العربي على تحقيق التغيير الديمقراطي، وقد حظي هذا البعد بنسبة كبيرة؛ بلغت (58.3٪) تمثل جملة من ذكروا هذا الملمح الإيجابي في تقاريرهم من المراسلين الإعلاميين الأميركيين في الشرق الأوسط، تلاه سعي هذه الدول والشعوب في البحث عن قواسم مشتركة تجمعها مع الشعوب الأخرى ... إلخ.

* **أكدت الدراسة أن** هناك أربعة جوانب سلبية ركزت عليها تقارير المراسلين الأميركيين؛ جاء في مقدمتها: الاستبداد والقمع اللذان تمارسهما السلطة التنفيذية تجاه المواطنين، حظي هذا الملمح بالمرتبة الأولى بنسبة (45٪)، تلاه: استسلام الشعوب لتجريدها من حقوقها، وغياب منظومة حقوق الإنسان بنسبة واحدة لكل بلغت (30٪) ثم وجود قدر من التعصب والتطرف لدى الشعوب في هذه الدول بنسبة بلغت (25٪)، وهي ملامح يغلب عليها البعد السياسي والحقوقي المتمثل في تراجع قيم الديمقراطية وآلياتها، وضعف المشاركة الشعبية في الحكم ومسئولياته، إضافة إلى البعد الثقافي الديني المتمثل في وجود قدر من التطرف المبني على أسس دينية لدى شعوب هذه المنطقة أو بعض تياراتها.

* **أكدت نتائج الدراسة أن** المراسلين الأميركيين يعتقدون أن إرساء المزيد من ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم العربي والإسلامي يعد من أهم الآليات والرؤى التي يمكن أن تساهم في إعادة تصحيح صورة هذه الدول والشعوب؛ حيث احتل هذا البعد المرتبة الأولى، يليه أهمية دور المراسلين الخارجيين في الكتابة عن العالم العربي وشئونه بمزيد من الموضوعية.

* **أثبتت الدراسة أن** المراسلين الأميركيين أكدوا أن ثمة آليات أخرى يمكن أن تساعد في تصحيح الصورة النمطية المشوهة عن العالم العربي والإسلامي، وتتمثل في: إذكاء روح التعاطف مع العالم العربي وتفسير وتحليل ردود أفعاله، وقد حظيت بنسبة (31.8٪) من المراسلين الأميركيين في منطقة الشرق الأوسط، ويعتقد الباحث أن الدبلوماسية العربية

ومكاتبها الثقافية والإعلامية منوط بها - إلى جانب وسائل الإعلام بالطبع- أن تلعب دورا فاعلا في هذا الصدد، من خلال تفعيل الاتصال بالشعوب الغربية نفسها، وشرح وتفسير مواقف الدول العربية والإسلامية وقضاياها وشئونها المختلفة، والتحديات التي تواجهها.

* **أشارت نتائج الدراسة إلى أن:** (3.3٪) من المراسلين الأميركيين يؤكدون أن: العرب يتخذون موقفا عدائيا من الغرب، في حين ذكرت نسبة (73.3٪) من المراسلين أن العرب يتخذون موقفا عدائيا من الغرب إلى حد ما، وذكرت النسبة الباقية (23.3٪) من المراسلين الأميريكيين أن العرب لا يتخذون موقفا عدائيا من الغرب، بينما النسبة الغالبة من المراسلين الإعلاميين الأميركيين في منطقة الشرق الأوسط يعتقدون أن: الشعوب العربية والإسلامية تتخذ مواقف عدائية مع الغرب.

* **كشفت نتائج الدراسة أن:** (73.3٪) من المراسلين الأميركيين يؤكدون أن: العالم العربي في حاجة إلى تدعيم علاقاته مع الغرب، ونسبة (20٪) منهم: أنهم في حاجة إلى حد ما، وذكرت النسبة الباقية (6.7٪): أنهم ليسوا في حاجة لتدعيم علاقاتهم مع الغرب. وأن النسبة الغالبة من المراسلين (93.7٪) يرون أن: العالم العربي يحتاج لتدعيم علاقاته مع الغرب حيث إن تدعيم العلاقة مع الولايات المتحدة خاصة يساعد الدول العربية في استلهام التجربة الديمقراطية الغربية في دعم الحريات. (نلاحظ أن توقيت إعداد رسالة الدكتوراه تزامن مع توجه قصير العمر من إدارة بوش المنصرفة بشأن دمقرطة العالم العربي كوسيلة للحد مما يسمى الإرهاب، وقد تلاشى هذا التوجه بمجرد فوز الإخوان المسلمين في مصر

بنسبة تناهز عشرين بالمائة من عضوية البرلمان المصري برغم التزوير الثابت والعلني، وبعدهم فازت حماس عام 2006 بأغلبية المجلس التشريعي الفلسطيني).

* **وتشير الدراسة إلى أن:** نسبة كبيرة من المراسلين الإعلاميين الأميركيين بلغت (80.8٪) يرون أن: الولايات المتحدة تستفيد من علاقاتها مع بعض الدول العربية في تحقيق استفادة اقتصادية كبيرة، خاصة من الثروة النفطية لدى دول الخليج، لاسيما السعودية، كذلك أكدت الدراسة أن: (50٪) من المراسلين يرون أن: الولايات المتحدة تحقق استفادة اقتصادية أخرى تتمثل في التعاون الاقتصادي مع هذه الدول وفتح أسواقها الكبرى، وكذلك إتاحة الفرصة لاستثماراتها للتوغل في المنطقة.

* وذكرت نسبة (11.5٪) من المراسلين أن: الولايات المتحدة تستفيد من الدور المصري الإقليمي في المنطقة الرامي لتحقيق المفاوضات بدلا من الصراعات المسلحة.

* **أكدت الدراسة أن:** ثمة أدوار يلعبها المراسل الخارجي تساهم في دعم السياسة الخارجية لدولته، وحصل هذا الدور على المرتبة الأولى بنسبة (96.7٪) وكذلك مساهمة المراسلين في إدارة بعض الأزمات الدولية من خلال ما يقدمونه في تقاريرهم من بيانات ومعلومات وخلفيات مرتبطة بالأزمة، تساعد صانعي القرار على اتخاذه في ضوء توجهات الرأي العام، وقد أكدت نسبة (46.7٪) من المراسلين الإعلاميين في المنطقة إمكانية قيام المراسل بهذا الدور.

* **أظهرت الدراسة أن:** نسبة (83.8٪)من المراسلين الأميركيين في منطقة الشرق الأوسط يؤكدون أن: السياسة الخارجية لدولتهم تؤثر على دورهم كمراسلين في الخارج، في حين ذكرت النسبة الباقية (16.7٪) أنها لا تؤثر على عملهم.

وفي ختام الرسالة قدم الباحث السعودي اثنتا عشرة توصية، أختار منها ما أعتبره أكثر أهمية:

1- عقد المزيد من اللقاءات مع المراسلين الأجانب.

2- تشجيع ودعم جهود الترجمة المتبادلة من العربية إلى اللغات الأجنبية والعكس.

3- ضرورة التخلص من التبعية الإعلامية الأميركية في النواحي الخبرية، أو التسليم الكامل بصدقية ما تبثه وكالات الأنباء العالمية، وأن تتم عملية الانتقاء للمعلومات من خلال محررين محترفين يدركون بحسهم القومي توجهات الرسائل الإعلامية التي تستهدفها وسائل الإعلام الأجنبية والأميركية على وجه الخصوص.

4- ضرورة أن تكف وسائل الإعلام العربية عن تشويه الصورة التي عليها مجتمعاتهم، على اعتبار أن الإعلام الأميركي في الكثير من تغطياته يقوم على رصد ما تكتبه هذه الوسائل عن مجتمعاتها.

5- دراسة المراسل الأجنبي كامتداد تاريخي للاستشراق، والتركيز على الجانب الإيجابي في العملية الاستشراقية.

6- دعم المشاركة المهنية الأجنبية في المؤسسات الإعلامية العربية، لما للاحتكاك المباشر من دور في توضيح الصورة الذهنية وتغيير المدركات الفكرية.

7- تسهيل حصول المؤسسات الإعلامية الغربية عامة والأميركية خاصة على الإنتاج العلمي العربي وخاصة في المجال الإعلامي.

وقد وضع الباحث استمارة (تحليل مضمون) تضمنت عدة جداول:

ونقرأ في الجدول الأول: مسلسل القضايا التي أخضعها الباحث للتحليل، وأسماء تلك القضايا، وهي:

1- حل قضية الصراع العربي الإسرائيلي.

2- قضية الإرهاب وأعمال العنف.

3- قضية الشرق الأوسط الكبير.

4- قضية الإصلاح السياسي في المنطقة.

5- قضية احتلال أميركا للعراق.

6- قضية السلاح النووي الإيراني.

الجدول الثاني:

تضمن العناوين التالية: اسم الوسيلة الإعلامية، وتاريخ المادة المفحوصة، والفن الصحفي المستخدم. وقد صنفه بين مواد إخبارية ومواد استقصائية (حوار- تحقيق) ومواد رأي.

الجدول الثالث: جاء عنوانه: فئة القضايا والمضامين المطروحة:

واشتمل على ما يلي: حل قضية الصراع العربي الإسرائيلي من وجهة نظر عربية، ثم تبعه بباقي القضايا المبحوثة، ثم قسم الموقف والاتجاه من القضية إلى ثلاثة:

(مؤيد – محايد – معارض)

وأورد الباحث أسانيد التأييد للقضية والمعارضة لها، ثم خانة للملاحظات.

الجدول الرابع: هو اسم الوسيلة:

واشتمل على العناوين التالية: ملامح صورة الدول العربية كما تعكسها التغطية: مفردات الصورة السياسية، الملامح السلبية للصورة السياسية، مسارات البرهنة والأسانيد المطروحة، وتحت ذلك نقرأ أفقيا في قمة الجدول: مسلسل المادة، تاريخ المادة، غياب الديمقراطية والحريات، استبداد نظم الحكم وفسادها، توريث السلطة، عدم نزاهة العمليات الانتخابية، تغييب دور قوى المعارضة السياسية، تهميش دور المجتمع المدني، فقدان الثقة بين الشعوب والنظم الحاكمة، أخرى تذكر.

وتكرر الجدول السابق، لكن ليتناول الملامح الإيجابية للصورة السياسية:

وهي بحسب ترتيبها أفقيا على رأس الجدول: وجود نوايا للإصلاح السياسي، وتزايد دور المعارضة السياسية في العمل العام، تزايد دور مؤسسات المجتمع المدني، تزايد هامش حرية الصحافة والرأي والتعبير، إجراء إصلاحات دستورية وتشريعية، الإشراف القضائي والدولي على العملية الانتخابية، أخرى تذكر.

وعلى صعيد مفردات الصورة الاقتصادية السلبية والإيجابية تناول الباحث ذلك في جداول مشابهة لكل وسيلة من وسائل الإعلام الأميركية التي اختارها.

وطبق نفس المنهج على الصورة الثقافية والصورة الاجتماعية، وبعد ذلك تحدث الباحث في جداول أيضا عن مصادر المراسل الأميركي في وسائل الإعلام موضوع البحث.

ثم تناول مفردات كل من صورة الشعوب وصورة القادة والزعماء، أما استمارة الاستبيان على القائم بالاتصال (أي المراسلين الإعلاميين الأميركيين في المنطقة) فقد تضمنت ثمانية وثلاثين سؤالا محددا مع عدد من الخيارات للإجابة، الاستمارة بدأت بالسؤال عن مدى إجادة المراسل للغة العربية، وسبب اختيار المؤسسة الإعلامية له للعمل في المنطقة، ونوع الصعوبات التي يواجهها في عمله، والمصادر التي يعتمد عليها، ومدى تدخل المقر الرئيسي تحريريا فيما يرسله المراسل من مواد، والجوانب السلبية والإيجابية التي رصدها .... وغير ذلك حتى السؤال الأخير الذي جاء كالتالي:

من وجهة نظرك ما تصورك لمستقبل العلاقة بين الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا وبين شعوب ودول المنطقة العربية والإسلامية؟

* * *

ملحقان

1 - حكاية مركز الدوحة لحرية الإعلام

جاءت فكرة هذا المركز كمكرمة قطرية لرعاية أي صحفي أو إعلامي يتعرض هو أو أسرته للاضطهاد بسبب أدائه المهني. وتقرر أن تسند مهمة إدارة المركز لشخصية مشهورة في مجال حماية الصحفيين، فوقع الاختيار على الفرنسي روبير مينار كمسئول سابق عن منظمة مراسلون بلا حدود، أعلنت الدولة القطرية عن تأسيس المركز وقد حضرت حرم الأمير بنفسها مؤتمرا صحفيا لهذا الغرض، بدأ المركز أنشطته الفعلية، وخصصت قطر مقرًّا وميزانية كافية لهذا الغرض النبيل، وفي ذكرى تأسيسه الأولى أصدر المركز تقريره الأول عن حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وقدم مينار ملخص التقرير للصحفيين في مؤتمر صحفي كبير بالدوحة حضره عشرات من الصحفيين، في ذلك المؤتمر حمل مينار على أوضاع الصحافة والصحفيين في دولة قطر، وأنذر حكومتها بأنه سيعطيها مهلة حتى مايو 2009 لتغيير قانون الصحافة وللسماح بتأسيس نقابة أو اتحاد للصحفيين وإلا فسوف يتخذ من الإجراءات ما يحفظ للمركز صدقيته.

حضرت بنفسي ذلك المؤتمر الصحفي، واندهشت كثيرا من اللهجة الشديدة التي تحدث بها السيد مينار تجاه قطر وسلطاتها، بعد ذلك جرت مياه كثيرة في النهر، من ذلك ما قد يعد أحد دوافع تسريع هجمة مينار على سلطات قطر الإعلامية بل والسياسية، إنها الهجمة الوحشية الدموية الإسرائيلية على غزة، والتغطية المهنية الجيدة التي مارستها قناة الجزيرة أثناء

مأساة قتل أهلنا الفلسطينيين وتدمير بيوتهم ومساجدهم وضرب مستشفياتهم ومدارسهم بل ومقر تابع للأمم المتحدة.

بعد ذلك مباشرة - أي في مارس 2009- دعت دولة قطر الرئيس السوداني عمر البشير لحضور القمة العربية العادية بالدوحة، وقد حضر بالفعل برغم طلب المحكمة الجنائية الدولية تسليمه، بتهم ارتكابه جرائم حرب ضد شعب دارفور، فوجئ المراقبون والإعلاميون في قاعات المؤتمر ببيان أصدره مركز الدوحة لحرية الإعلام يهاجم فيه دعوة قطر البشير.

بعد فترة حدث سجال صحفي منشور بين مينار وبعض رؤساء التحرير القطريين، ثم طرد الرجل (أو قدم استقالته)، وقد هاجم مينار بعض المسئولين القطريين، واستثنى حرم الأمير التي كال لها المديح، وقد يؤول ما أقدم عليه وما وزعه عبر البريد الإليكتروني كمحاولة للدس وإثارة حفيظة مسئولين كبار في الدولة ضد بعضهم البعض.

وفيما يلي الخبر الذي كتبته عن المؤتمر الصحفي الذي عقده مينار في الذكرى الأولى لتأسيس المركز ومقابلتين أجريتهما مع مينار ومع رئيس تحرير جريدة الشرق القطرية، لعل الخبر والمقابلتين يكشفون مزيدا من التفاصيل عن القضية التي أعتبرها نموذجا فريدا من ممارسات بعض الإعلاميين الأجانب في بلادنا.

نص الخبر الذي أرسلته إلى جريدة أساهي اليابانية (المكتب الإقليمي بالقاهرة):

انتقد مدير عام مركز الدوحة لحرية الإعلام روبير مينار - بصراحة غير مسبوقة- دولة قطر على ما أعده غياب حرية الصحافة فيها. وهدد مينار، وهو صحفي فرنسي سابق كان يرأس منظمة مراسلون بلا حدود، بأن يتخذ موقفا يحفظ مصداقية المركز الذي تأسس في العاصمة القطرية منذ شهور إذا لم توقع قطر على العهد الدولي الذي يضمن الحقوق المدنية والسياسية".

وبرغم إشادته بالحرية التي تتمتع بها "الجزيرة" كمحطة تليفزيونية قطرية، إلا أن مينار ذكَّرَ الصحفيين الحاضرين في مؤتمر صحفي عقده الاثنين 9 فبراير 2009- بأن قناة الجزيرة لا تتناول الأحداث القطرية الداخلية.

وقال مينار في المؤتمر: إن حرية الصحافة في قطر وفي الدول العربية الأخرى "غير محترمة"، وقد أعلن تفاصيل ذلك ضمن أول تقرير سنوي ينشره المركز من المنطقة العربية بعنوان: "حرية الإعلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا".

وبالإضافة لقطر وجه التقرير انتقادات حادة لدول عربية أخرى، مثل: السعودية، وسورية التي وصفها بأنها تعمل وفق "تشريعات رجعية قامعة للحريات"، وانتقد التقرير ما سماه "المحاكمات المتكررة في مصر والجزائر واليمن ، والغرامات الفادحة للصحافيين كما في الكويت والمغرب".

وقال مينار متحدثا عن قطر: إن السلطات لا تعطينا الصلاحيات اللازمة حتى نقوم بعملنا على النحو المطلوب، وهناك دول عربية كثيرة تحظر إقامة نقابات خاصة بالصحافيين ومن بينها قطر".

وأضاف: "من غير الوارد استمرار عمل المركز هنا دون تعديل قانون الصحافة الذي يضيق على الصحفيين ولا يزال ساريا منذ السبعينيات، وما لم توقع قطر على الميثاق الدولي الذي يضمن الحقوق الصحافية والحقوق المدنية والاقتصادية".

وقال: إن الإدارات في الصحف القطرية ينبغي أن تتخلى عن إجراءات مثل: "الاحتفاظ بجوازات الصحفيين العاملين لديها"، داعيا إلى "منح الصحافيين في قطر الحق في تشكيل نقابتهم".

هذا وقد حدد شهر مايو 2009 لتنفيذ قطر ما يؤكد مصداقيتها في حماية حرية الإعلام وإلا فسوف يتخذ المركز خطوة - لم يحددها، **وقال**: "في حالة لم تتخذ خطوات لتغيير التشريعات الخاصة بالصحافة في قطر وفي حالة ما إذا تغاضت الصحافة المحلية ولم تنشر ما ورد بالمؤتمر الصحافي، سنرد على ذلك، وسيكون لنا موقفنا".

وحول ما جرى لوفد المركز في غزة قال مينار: إن السلطات في مصر وإسرائيل تضامنت لمنع دخول وفد المركز الذي حمل البدلات الواقية من الرصاص والأقلام والأوراق لزملائهم من الصحافيين في غزة".

وأوضح أن المسئولين في مصر قالوا لهم: "إنكم قادمون من قطر، ونحن لا نحب دولة قطر"، **مشيرا إلى أن**: "وفد المركز سيتوجه قريبا إلى غزة في محاولة لإنشاء مركز للصحافة هناك".

وكان روبير مينار قد أطلق في منتصف أكتوبر 2008 "مركز الدوحة لحرية الإعلام" الذي حدد أهدافه بالعمل على حماية الصحافيين في كافة أنحاء العالم وخاصة الدول العربية.

وانطلق مركز الدوحة بموجب مرسوم أصدره أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني في سبتمبر 2007.

ويتكون مجلسا الإدارة والحكماء (المشرفان على المركز) من 20 عضوا جميعهم من كبار الساسة والمفكرين من القارات الخمس، من بينهم رئيس الحكومة الفرنسية السابق دومينيك دو فيلبان والكاتب البرازيلي باولو كويلو والوزير البرتغالي السابق جوزي لويس أرنو والصحافي الأمريكي إيثان برونر ووزير الخارجية الأسباني ميجل أنخيل موراتينوس.

ومن الشخصيات العربية المشاركة في المجلسين الوزير اللبناني السابق غسان سلامة والمفكر السوري برهان غليون والناشر الكويتي جاسم بودي.

ويرأس مجلس إدارة المركز الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني (رئيس مجلس إدارة شبكة "الجزيرة" في حين يرأس مجلس الحكماء وزير الثقافة القطري حمد عبد العزيز الكواري.

* * *

المركز يثير الجدل في الصحافة القطرية

وفي مناسبة الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة بالدوحة 2 مايو 2009 طلبت مقابلة الزميل روبير مينار لمتابعة ما سبق له إعلانه بشأن تطورات قضية حرية الصحافة في قطر، بدأت مقابلتي للرجل بصفته المسئول عن إدارة مركز الدوحة لحرية الإعلام كالتالي:

* س: هل وصلتكم ميزانية المركز للعام الحالي من السلطات القطرية؟

(وكان مينار قبل أسابيع قد أجاب بالنفي، ردا على السؤال نفسه من زميلي في مكتب جريدة أساهي اليابانية في باريس. وقال مينار آنذاك: إنه لايزال بانتظار تحويل السلطة القطرية الميزانية المقررة إلى خزينة المركز).

ج: تمت الموافقة على الميزانية وأخذنا تعهدا بأن الدولة ستحولها لنا خلال الأيام القادمة، ربما تكون بعض الإجراءات البيروقراطية هي ما تبقى كي تصلنا الميزانية.

* س: كم تبلغ الميزانية الجديدة؟

ج: نحو خمسة ملايين دولار لهذه السنة أو على وجه الدقة أربعة ملايين وتسعمائة ألف دولار.

* س: وكم كانت في العام الأول (أي: هل زيدت أو خفضتها الدولة القطرية العام الحالي؟).

ج: تقريبا كان المبلغ نفسه، ولكن لتسعة أشهر، فقد بدأنا في مارس 2008، العام الحالي زيدت الميزانية التي تمت الموافقة عليها، وسبب الزيادة هو أننا نزمع افتتاح فرعين لمركزنا خارج قطر.

* س: وهل ثمة محاسبة من الدولة لكم على الإنفاق؟

ج: نعم، ولدينا في المركز قسم محاسبة خاص بنا، ونحن نقدم كشوف مصروفاتنا للدولة، ولم تصلنا منهم اعتراضات أو ملاحظات.

* س: قبل شهور قليلة سبق لك أن أنذرت سلطات الدولة القطرية في المؤتمر الصحفي الذي عقدته بمناسبة مرور عام على تأسيس المركز، وقلت: إنك تعطيهم مهلة حتى مايو (الحالي) كي يتقدموا خطوات أوسع على طريق حرية الصحافة. ترى ماذا كان رد فعل الدولة على "إنذارك"؟

ج: قابلت الشيخة موزة حرم الأمير من ثلاثة أسابيع، وأخذت منها وعدا بأنه ستكون هناك ضمانات لحرية الصحافة وأن الوضع الراهن سيتغير على عدة محاور:

الأول: على الصعيد القانوني؛ فقد أكدت لي الشيخة أن: قطر ستصدق على معاهدة حقوق الإنسان حسبما تنص عليه الأمم المتحدة.

الثاني: على صعيد قانون الصحافة في دولة قطر: وقد وعدت الشيخة بإطلاق لجنة لتغيير قانون الصحافة الحالي، وأنا (أي مينار) سوف أكون عضوا في هذه اللجنة.

ويضيف مينار أن: مركز الدوحة لحرية الإعلام أعد مشروع قانون جديد للصحافة القطرية.

ثالثا: على صعيد العمل النقابي الصحفي: أخذت وعدا من الشيخة موزة بأن الدولة سوف تسمح بتكوين جمعية للصحفيين في قطر وليس نقابة.

* س: وهل تعرف باقي أعضاء اللجنة سواء بوظائفهم أو بأشخاصهم؟

ج: لا ... لا أعرف.

* س: ولماذا ترفض الدولة فكرة النقابة؟

ج: هذا ما سألته إياها، فقالت لي: إن الدولة القطرية ليست مستعدة بعد لاستخدام هذه الكلمة، ولكن الجمعية ستقوم تقريبا بنفس دور النقابة.

* وهل اقتنعت بذلك؟

ج: دعنا ننتظر لنرى.

* س: وهل ستعطيهم فترة زمنية لتنفيذ ما وعدوك، كما فعلت في مارس الماضي بشأن توسيع هامش حرية الصحافة؟

ج: آمل أنه خلال شهور قادمة ستتقدم الأمور، ولست حاليا قادرا على تحديد عدد الشهور التي يحدث فيها التطور الموعود، أنا أثق بوعود الشيخة موزة.

* س: هل عاتبتك جهات بعينها على إنذارك المشار إليه بشأن توسيع هامش حرية الصحافة؟

ج: لم تعاتبني الشيخة ولا أية جهة في قطر.

ويضيف: لكن هناك بعض الأشخاص في الدولة غير راضين عن الموقف الحالي في مركز الدوحة لحرية الإعلام، أنا أعرف ذلك، ويكفيك قراءة بعض الصحف، إن هناك من يكتبون طبقا للأوامر.

(يشير مينار إلى ما يشبه الحملة الصحفية ضده وضد تصرفات معينة وبيانات أصدرها باسم المركز. الكتابات بدأها رئيس تحرير جريدة الشرق ثم انضم له رئيس تحرير جريدة الوطن).

* **سألت مينار**: إذا كنت تعتقد أن ثمة من يأمرون رؤساء الصحف القطرية بالكتابة ضدك وضد المركز، فما تفسيرك لهذا؟ ومن هم الآمرون بذلك في الدولة؟

ج: هذا هو الحال في هذه المنطقة من العالم، الحكم هنا ليس ذو اتجاه واحد. هناك خلافات بين من يحكمون في هذا البلد. ... هذا هو التفسير ... هناك من لا يريدون مركزا مستقلا هنا في قطر، في حين أن الشيخة فرضت هذا المركز، هناك من لا يتوقفون عن محاولة ألا يكون المركز مستقلا، إنهم يريدونه تابعا، فالمركز ينتقد أشخاصا ودولا وينتقد قطر ذاتها، المركز فيه حرية تعبير لم تكن معتادة هنا، والمركز لا يخدم دبلوماسية قطر، المركز مستقل، بينما يريد البعض أن يكون هذا المركز قريبا من الحكومة ولهذا السبب يوجد النزاع الحالي، هناك صراع داخل الدولة القطرية بين أشخاص يريدون التغيير وأشخاص يريدون بقاء الأحوال على ما هي عليه.

* س: ومن سينتصر في النهاية حسبما تتوقع؟

لا أعرف، ولكن إذا تبينت أنني سأخسر فسوف أغادر، وها أنذا لا أزال موجودا... وسأواصل الصراع. حتى يوم أمس كتب من كتب، يرون أن المركز لم ينجح، وهم يستهدفونني شخصيا؛ جريدة الشرق، وانضمت لهما مؤخرا جريدة الوطن، هل يصدق أحد أن رئيسي تحريرهما يكتبان ما كتبا بناء على قناعاتهما الشخصية؟

* س: هل التقيت بالأمير كما التقيت مرارا بحرمه بخصوص المركز؟

ج: التقيت به مرة واحدة فقط.

* س: ممن تعتقد أن رئيسي تحرير هاتين الجريدتين يتلقون أوامرهم بالكتابة ضد المركز وضدك شخصيا؟

ج: أمتنع عن الإجابة عن هذا السؤال.

* س: وما ردك على اتهامات جابر الحرمي رئيس تحرير الشرق لك شخصيا بالكذب وقد كذبك في قولك: إنك دفعت مساعدات لصحفيين عراقيين، بينما ينفي هؤلاء الصحفيون ذلك؟

ج: جابر الحرمي يكتب أكاذيب، كل وثائق مساعدتنا وأعمالنا منشورة على موقعنا على الإنترنت، وكل ما نشرناه يثبت كذب جابر ... إنه يقول مثلا: إن هناك 52 صحفيا فلسطينيا معتقلون في إسرائيل. وهذا غير صحيح. أقول: إننا يمكن أن نختلف في أمور معينة، لكن لا داعي لاختراع المشاكل.

* س: وما ردك على ما كتبه جابر بشأن اعتراض مركزكم على دعوة الدولة القطرية الرئيس السوداني البشير لحضور قمة الدوحة؟ .... إن هذه

الدعوة والرئيس السوداني لا علاقة لهما بالإعلام، والبشير ليس صحفيا، فلماذا أقحمت المركز وأصدرت احتجاجا يوم القمة؟

ج: المسألة بسيطة، فقد كنا قدمنا شكوى ضد إسرائيل في المحكمة الجنائية الدولية قبل حضور البشير هنا بأسابيع. وقد رحب الجميع بتحركنا هذا، ثم لما اعترضنا على حضور البشير كمتهم إلى الدوحة هاجمنا من سبق لهم ورحبوا بشكوانا إلى المحكمة الجنائية الدولية.

* س: لكن مرة أخرى أسالك: إن دعوة البشير قرار سياسي سيادي أصدرته الدولة القطرية، فما علاقة مركز الدوحة للإعلام بذلك ... فلا البشير صحفي ولا قطر مؤسسة إعلامية؟

ج: أردنا فقط أن نوضح أن المحكمة في نظر البعض محقة في محاكمة إسرائيل، لكنها عند الناس أنفسهم غير محقة في محاكمة أصدقائهم!!! البعض يعتبر المحكمة محقة في أشياء تعجبهم، وغير محقة فيما لا يعجبهم، كان اعتراضنا على دعوة البشير منصبا على رفض توقيع الجزاء على أشخاص بعينهم. اعتراضنا هو على عدم الحكم على المخطئ!!!

* س: ما تقييمك للعاملين القطريين في مركز الدوحة للإعلام؟ ولماذا طردت أو حاولت طرد الباحثة القطرية مريم الخاطر؟

ليست جنسية العاملين في المركز هي بيت القصيد. هناك ككل الجنسيات صحفيون وإعلاميون قطريون ممتازون وجديرون بالمناصب، وهناك منهم من ليسوا كذلك، وبخصوص مريم، أقول: إن هناك أشخاصا لا أريد التعامل معهم، وقد خولتني الشيخة موزة حق اختيار من يعملون

معي، البعض لا يملكون القدرات المطلوبة للعمل، وأؤكد لك أن الشيخة قالت لي: أنت تختار من تحب أن يعملوا معك... العاملون في المركز شأن يخصني أنا وحدي فقط، مريم الخاطر مجرد مساعدة، وهناك في المركز عشرة أشخاص قطريون لهم أهميتها نفسها. الشيخة لم تتحدث معي بشأنها في مقابلتي الأخيرة.

س: قل لي بصراحة: ما تقييمك للجزيرة؟

ج: تبقى وسيلة إعلامية مختلفة عن كل ما عداها في العالم العربي، إنها وسيلة لها حضورها في أماكن ليس لغيرها فيها وجود، الجزيرة ليست كاملة ولكن هل تعرف أنت وسيلة إعلام كاملة؟

إنهم في الجزيرة صحفيون يخاطرون بطريقة لا تصدق كي يؤدوا عملهم، وهي وسيلة إعلامية تواجه مشكلات مع الحكومات المتسلطة. ولكن الجزيرة في النهاية لا تتكلم عن دولة قطر!!!

* * *

وفيما يلي مقابلة أجريتها مع رئيس تحرير جريدة الشرق القطرية لمواجهته بما قاله مينار:

س: روبير مينار اتهمك بأنك تكتب أكاذيب ضده وضد المركز وأنك وزميلك رئيس تحرير جريدة الوطن تكتبون ما يأمركم به مسئولون في قطر لم يشأ أن يحددهم... ما تعليقك؟

ج: لقد ذكر أنهم في المركز دفعوا مساعدات مالية إلى مائتين وخمسين صحفيًّا وجهة إعلامية، وأنا أطالبه بأن ينشر الأسماء اسما اسما ولا يكتفي

بمجرد ذكر عدد التحويلات المالية، إن كانت لديه الشفافية فليذكر هذه الأسماء.

وعلى سبيل المثال؛ لقد ذكر أن من بين من أرسل إليهم صحفيين صوماليين وهو يزعم أن كلا منهم تسلم خمسمائة دولار حسبما نشر على موقع مركز الدوحة لحرية الإعلام، لقد وصلتنا في جريدة الشرق شكوى موقعة من هؤلاء الصحفيين (ستة صحفيين) ينفون فيها الحصول على تلك المبالغ، وهو – أي: مينار – يذكر أنه أرسلها إليهم عبر شخص ما.

أما الصحفيون العراقيون ممن ادعى أنه أرسل إليهم مساعدات مالية فقد نفوا ذلك، وقد نشرت في مقالي اسم رئيس تحرير صحيفة عراقية ممن نفوا المسألة، بل ونفى عدد من زملائه الصحفيين العراقيين مجرد معرفتهم بالمركز.

أكرر مطالبتي له بنشر الأسماء، علما بأن بعض من اشتكوا لنا في الصومال قالوا: إنهم أصبحوا ملاحقين، وقد تعرضوا للخطر من جراء ما نشره مينار.

س: وبماذا تفسر صمت مينار وعدم نشره تلك الأسماء حتى الآن وهل تشكك في أمانته؟

ج: نحن لا نشكك في ذمته، ولكننا نريد معرفة الحقيقة، ونريد أن نعرف لماذا أخذ أوراقه، وترك المقر الذي منحته الدولة للمركز ليعمل من مكان آخر، هذا المكان المفروض أنه مخصص لسكنى من يضطرون للهروب من بلادهم كلاجئين صحفيين؟

وكيف له أن يعلن طرد نائبته الباحثة القطرية من المركز وليس هو من عينها في هذه الوظيفة؟ وأريده أن يحدد لي من هم هؤلاء القطريون العشرة المستمرون في العمل بالمركز بعد قراره طرد مريم الخاطر؟ إن القطريين الباقين لا يزيدون عن اثنين أو ثلاثة.

س: إن مريم الخاطر حسبما أعلم كاتبه صحفية فما تفسيرك لعدم تعليقها على ما فعله مينار بشأنها؟ وهل أرسلت إليك ما تتضامن به مع ما كتبته أنت؟

ج: إنها من الناحية الرسمية لا تزال في منصبها؛ فالدولة هي التي عينتها والدولة لم تطردها من وظيفتها، وهي تمارس وظيفتها من المقر الرسمي للمركز، هي لم تكتب في الموضوع برغم أنها كاتبة عمود صحفي بجريدة الراية، ولعلها لا تحبذ الدخول في معركة مع أحد.

س: لكن الرجل قد جلب لكم موافقة على تأسيس جمعية للصحفيين القطريين، كما حصل على وعد بتشكيل لجنة لتغيير قانون المطبوعات سيكون هو أحد أعضائها، فلماذا تنتقدونه؟

ج: موضوع الجمعية، نحن قبل أربع سنوات حصلنا على الموافقة عليه، وليس لمينار أي فضل في ذلك، وأنا شخصيا واحد ممن وضعوا نظامها الأساسي، أما قانون المطبوعات فقد ناقشه رؤساء التحرير منذ ثمان سنوات.

هو وضع ما يقول بأنه مشروع قانون للمطبوعات في قطر على موقع المركز ويطالب الزائرين بإبداء آرائهم فيه، وهذا أمر غريب، فهل يعقل أن قانونا للصحافة في بلد -كاليابان مثلا- يشبه قانونا للصحافة في بلد كقطر.

س: دعني أسألك: رأيك الصريح فيما يزعمه مينار من أن قطر يتنازعها طرفان: أحدهما يريد بقاء الأحوال على ما هي عليه، والآخر يريد التغيير.

ج: قطر الرسمية قرارها واحد، وليس هناك تنازع بين السلطات، ولم يحدث أن ظهر على السطح أي خلاف داخل مؤسسة الحكم، إذا كانت لدى مينار معلومات فليظهرها. لقد عرفت قطر الحرية قبل مجيء مينار بزمن.

سمو الأمير ألغى الرقابة على الصحف في عام 1995، وألغى وزارة الإعلام في عام 1996 كأول دولة عربية تفعل ذلك، ثم أنشأ قناة الجزيرة.

س: ما تفسيرك لما يقوله أو يفعله مينار إذن؟

ج: هو شخص ذو طبيعة ديكتاتورية يحب الظهور بمظهر البطل، انظر إلى خلافاته ومشكلاته عندما كان مسئولا في منظمة مراسلون بلا حدود. هذه شهاده نائبه الفرنسي جان كيلو جيوبو فيه ولقد اتهم مينار أيضا بالانتقائية في التعامل مع وسائل الإعلام التي كانت المنظمة تنتقدها.

س: هل أسفرت حملتكم على تصرفات مينار عن أي رد فعل رسمي من الدولة؟

ج: هي ليست حملة منا ولم يصلنا أي شيء من الدولة حتى الآن.

س: ولا من رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة لحرية الإعلام الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني؟ ألم تتصل به بصفتك رئيس تحرير ؟

ج: لا، وأنا لم أتصل، فقد كتبت وجهة نظري، ومن المفروض أنه قرأها، وأرى أن: دوري كصحفي ينتهي عند ذلك.

س: هل نسقتم مع جريدة الوطن في شأن الانتقادات الموجهة إلى مينار؟

ج: لا بالطبع لم ننسق. وأؤكد لك أننا كرؤساء تحرير نكتب ما يمليه علينا الضمير المهني، ولا نتلقى تعليمات من أحد، كما أؤكد أننا ليس بيننا وبين مينار أية مشكلات شخصية، إن مركز الدوحة لحرية الإعلام مؤسسة قطرية تدار بأموال قطرية وقد وجدنا عليه ملاحظات فتعاملنا معها، نريد للمركز ولمينار أن يلتزم بالشفافية وباللائحة التي تنص على احترام الأديان والتقاليد في هذه المنطقة فقد خالفها بدعوته إلى إتاحة المواقع الإباحية على الإنترنت ردا على طلب مسئول إماراتي إلى جوجل قبل عدة أسابيع.

نريد من مينار ألا يكون انتقائيا في تعامله مع وسائل الإعلام والدول العربية وإسرائيل والصين مثلا.

ثم ما شأن مينار والمركز بقرار قطر السياسي السيادي بدعوة البشير إلى حضور القمة العربية؟ هل يستطيع أن يعترض على قرار إسرائيلي من هذه النوعية؟

س: لكن الرجل ساند الصحفيين الفلسطينيين إبان العدوان على غزة؟

ج: لقد ذهب فقط إلى رفح المصرية وكان يستطيع كحامل لجواز سفر فرنسي أن يذهب إلى تل أبيب ويحتج أمام وزارتي الدفاع والخارجية الإسرائيليتين على منع الصحفيين الأجانب من دخول غزة لتغطية أحداث العدوان منها، ولماذا لم يحتج على قصف إسرائيل فضائية الأقصى، لماذا يذهب إلى باريس ويحمل لافتة، محتجا على زيارة الأسد ولا يحتج على زيارة مسئوليين إسرائيليين، إن مينار متحامل على كل ما هو عربي وإسلامي، بل

وله أجندة غربية خاصة، فقد ساند حملة غربية مؤيدة للدالاي لاما إبان الدورة الأوليمبية نكاية في الصين.

س: وماذا بعد؟ ما توقعاتك للمركز ولمينار في بلدك؟

ج: مينار شخصيا لا يمثل لي أي هاجس، فما يهمني هو مصداقية المركز ومصداقية من يديرونه، سأواصل طرح الرأي، وإذا تم تصحيح الوضع سأكون أول المؤيدين.

س: وكيف يتم التصحيح في رأيك؟

ج: أن تكون هناك مصداقية وشفافية وحيادية في البيانات والتعامل مع القضايا والالتزام بالأهداف التي أنشئ المركز من أجلها.

س: هل تتوقع أن يتدخل مجلس الشورى القطري في المسألة على الأقل طالما أن ميزانية المركز من أموال الدولة؟

ج: لا أعتقد، ولكن هناك مجلس إدارة، وأنا أدعو أن يكون هناك مجلس محاسبة مستقل لتدقيق كيفية إنفاق أموال المركز وهل تصل فعلا إلى من يتم الإعلان عنهم.

س: ماذا تقول في اتهام مينار قناة الجزيرة بعدم التعامل مع أخبار قطر، برغم امتداحه القناة مقارنة بالإعلام العربي؟

ج: تهمة تجافي الحقيقة والمهنية. فقد تعاملت الجزيرة مع موضوع سحب الجنسية القطرية من بعض القطريين قبل عدة سنوات، وناقش أحمد منصور رئيس الوزراء على الهواء في ذلك الأمر. ومن الناحية المهنية نعرف

كإعلاميين محترفين أن أحداث قطر تغلب عليها المحلية، أي أنها: لا تهم شرائح عريضة من الرأي العام العربي والدولي من مشاهدي الجزيرة.

* * *

2 - نص مقابلتي المتلفزة مع المدير الإقليمي السابق لمجلة "دير شبيجل" في الشرق الأوسط

مقدمة:

بدأ فولكارد فيندفور صحفيا إذاعيا في عام 1958 بقسم اللغة الألمانية في الإذاعة المصرية، وعمل قارئا للأخبار فمقدم برامج ثقافية وسياسية، واستمر بالإذاعة حتى هزيمة يونيو 67، بعد الحرب بشهر ونصف انتقل إلى بيروت؛ حيث التحق بالمعهد الألماني للاستشراق واللغة العربية، ثم عاد إلى ألمانيا ليصبح مراقب البرامج العربية في القسم العربي بالإذاعة الألمانية في كولونيا، ويقول: إنه كان قد اضطر للعودة إلى ألمانيا بسبب مرض والدته بالسرطان. ويضيف: وبعد وفاة والدتي قبلت عرضا قديما من مجلة "دير شبيجل"، وكانت المجلة قبل الالتحاق الرسمي بها استعانت بي لإجراء حديث مع القذافي بعد ثورة الفاتح مباشرة، وقد سجلت المقابلة نفسها لحساب الإذاعة الألمانية أيضا بالاتفاق مع شبيجل، بعد ذلك عاد إلى بيروت ليفتتح هناك في أواخر 1973 أول مكتب لدير شبيجل في العالم العربي.

بقي فيندفور في بيروت حتى تدهورت الأوضاع فيها إلى الحرب الأهلية، وجرى اختطافه في يوم 2 يناير 1976 لفترة غير طويلة، ويرفض الرجل التطرق إلى أي تفاصيل عن واقعة الاختطاف قائلا: "إذا تكلمت عن هذا الموضوع فسوف لا أستطيع النوم ثلاث أو أربع ليال". وبعد ذلك

نقل مكتب المجلة الألمانية في يونيو 1976 إلى القاهرة، وقد بلغ سن الخامسة والستين في عام 2002 وكان يجب أن يتقاعد لكن إدارة التحرير مددت له حتى تاريخ إجراء هذه المقابلة الصحفية أي ربيع عام (2005).

الرجل لا يزال حتى تاريخ مثول هذا الكتاب للطبع مقيما في القاهرة، وقد احتفظ بمنصب مستشار المكتب الإقليمي لمجلة دير شبيجل في الشرق الأوسط. وقد تردد عليَّ في مقر إقامتي بالدوحة، والتقيت به أكثر من مرة، وسهلت له إجراء مقابلة صحفية أو أكثر مع شخصيات سياسية مهمة ممن كانوا يترددون على العاصمة القطرية في السنوات من 2005 إلى 2009، وقد طلب مني يوما أن أجري لهم مقابلة مع زعيم المحاكم الإسلامية. الذي أصبح بعد ذلك رئيس الصومال - الشيخ شريف شيخ أحمد، وتلقيت من فيندفور أسئلته فنقلتها، ومن ثم إجابات شيخ شريف إلى فيندفور عبر البريد الصوتي الإليكتروني. وجدير بالذكر أنني قدمت فيندفور إلى مسئولي الإعلام الخارجي في قطر باعتباره عميد الصحفيين الأجانب بالمنطقة، ولم يمض وقت طويل حتى حظي فيندفور بمقابلة صحفية مهمة مع أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

وفيما يلي نص مقابلة الصحفية معه:

س: زميلنا المراسل السابق للـ بي بي سي جيفري فيليبس وصفك بأنك ناصري بحكم معايشتك الناصرية في أزهى عصورها، ما مدى صحة ذلك وقد خدمت النظام الناصري إذاعيا، وهل تعاطفت مع التجربة الناصرية فعلا؟

ج: كنت في ذلك الوقت شابا ويومها كان العالم تحكمه الإمبراطوريات الاستعمارية أو تحديدا بريطانيا وفرنسا ثم أميركا، الشباب كله في العالم العربي كانوا في أيام ناصر ناصريين وقد كانت القاهرة مقرا لعشرات من منظمات التحرير في العالم الثالث، وبدون شك أنا تفاعلت جدا مع هذه الحركات، وأعتقد أن ملايين من الشبان كانوا مثلي متعاطفين مع الشعوب المناضلة من أجل الاستقلال والتحرير، لقد كان عبد الناصر من أهم الزعماء في العالم، لذلك كنت متعاطفا ومتفهما للتجربة، لكن بتقدم السن وكثرة السفر وباتساع الأفق وزيادة التجارب والخبرات والمعلومات، تكونت لدي رؤى مختلفة لأمور كثيرة، كان منها فترة حكم عبد الناصر.

تقييمي للتجربة في مصر: أنها ارتبطت برغبة المصريين في التخلص من القيود الاستعمارية والظلم قبل الثورة أو الانقلاب، كما كان يسمى، كان هناك ظلم شديد على المصريين، ولكن أيضا الاشتراكية أصبحت في نظري اشتراكية غير مدروسة النوايا كانت واضحة لتذويب الطبقات، لكن هذه المهمة لم يستطع الاتحاد السوفيتي النجاح في تنفيذها.

ولو كنت عرفت كل ذلك في ذلك الزمان ما كنت تفاعلت مع التجربة الناصرية. عموما الفترة كلها كانت زخما وتحررا من الاستعمار وولدت تجربة دول عدم الانحياز، وعقد مؤتمر باندونج، وظهر زعامات كنهرو وتيتو وسوكارنو مع جمال عبد الناصر.

س: أين كنت بالضبط إبان حرب 1967 ؟

ج: كنت في القاهرة، لا أزال أعمل بالقسم الألماني بالإذاعة المصرية.

س: كيف كان وقع هزيمة 67 عليك كمراقب أجنبي متعاطف مع التجربة الناصرية؟

كنت أستغرب الشعارات الساخنة التي انتشرت قبل الحرب، والتي كانت تدل على رغبة دخول الحرب ضد إسرائيل، ومادام الواحد كان يعمل في الإذاعة فمن الطبيعي أن يكون عنده معلومات، وكان لدي شبه علم أن الحرب لو اندلعت فسوف تتدخل أميركا فيها حماية لإسرائيل، بالطبع نعرف جميعا أن موقف أميركا كان قد تغير عما كان عليه أثناء حرب 1956. فحينذاك تدخلت أميركا وضغطت على بريطانيا وفرنسا وإسرائيل للانسحاب من سيناء، السياسة الأميركية في 1967 تغيرت، وكان من المتوقع مساندة أميركا لإسرائيل في أي حرب تشن عليها، لذلك استغربت الشعارات الساخنة. كان تقييمي أنه لو وقعت حرب فستكون كارثة على مصر.

س: هل توقعت هزيمة مصر آنذاك؟

ج: نعم، فلم أكن أصدق شعارات تلك المرحلة ولو إلى حد ما على الأقل. كنت متأكدا أن الجيش المصري لو فرض ودخل تل أبيب فإن أميركا لا محالة ستتدخل ضده.

س: هل كنت تعرف ما يتردد عن قصص الفساد في الجيش؟

ج: لا.

س: كيف كنت تقيم كتابات محمد حسنين هيكل في تلك الفترة؟

ج: كان وهو على رأس الأهرام مستشارا مقربا للرئيس عبد الناصر، دوره لم يكن مفيدا في نظري، فقد كانت نصائحه لعبد الناصر في غير محلها حسب رأيي، لم يكن تقديره للأوضاع في المنطقة والعالم جيدا، وأنا سألت هيكل في بيروت عام 1968 عن الهزيمة فرد قائلا: إن سيناء حفنة من تراب ... واعتبرت أن كلامه هذا غير مسئول. لقد اعتبرت أنه استصغر الهزيمة بشكل غير مسئول، ولذلك كنت اعتبره شخصا ليس على قدر المسئولية، وأتذكر أنني في سؤالي له في بيروت قال العبارات السابقة، لكني أيضا أعتقد: أنه لم يستطع الاعتراف بأي من أخطائه في تقدير المواقف حتى يومنا هذا، يكفي أن تقرأ ما جاء في كتابه خريف الغضب، بعض ما فيه صحيح لكن فيه أخطاء وأشياء غير مضبوطة، أنا لا أقلل من شأنه، فأنا وكل صحفي نقع في أخطاء، لكني أعتقد أنه كان أكبر وأهم مستشاري عبد الناصر، وهو لم يحسن عمله وكان يجب عليه تنبيه الرئيس ناصر ويقنعه ألا يقدم على أشياء نتيجتها محسومة سلفا.

س: هل فيما أرسلت إلى "شبيجل" تكتب وفي ذهنك القارئ العادي أو الحكومة الألمانية أو لإرضاء السلطة؟

ج: حتى سنة 1967 كنت موظفا في إذاعة مصر، ولم أكن معلقا ولا محررا سياسيا، كنت فقط قارئا للنشرات التي تعد لي.

س: كيف استقبلت استلام الرئيس السادات السلطة في مصر؟ وقد كنت متعاطفا مع عبد الناصر وموظفا في جهازه الإعلامي، تعرف أن السادات كما قيل وقتها. جاء ليمسح ما فعله ناصر بـ"أستيكة"؟

ج: كنت في تلك الفترة في بيروت، لكني التقيت بالسادات لأول مرة في صيف 1975، وأتذكر جيدا مدى إقبال السادات على كشف أشياء ووثائق المخابرات والكبت والتعذيب والسجون، وكنا نعرف في السنوات الأخيرة من حكم ناصر بعضا من تلك المخازي، وهذا ما أدى بي للإعجاب بالسادات، كنت قد تغيرت ضد ناصر شيئا ما، لما أحرق السادات شرائط تسجيلات المخابرات على الساسة والشخصيات المصرية، لقد جعلت هذه الأمور الناس تعجب بالسادات ولا تنسى أنه كان معروفا منذ ما قبل الثورة، كان رجلا يفكر جيدا ويحسب حساب الأمور، كان أسلوب حكمه يختلف عن أسلوب عبد الناصر كل الاختلاف.

س: نعود إلى ألمانيا بلدك وقد كانت مقسَّمة، وأنت تراسل إعلام بلدك هل كان هناك خطًّا أحمر بشأن إسرائيل ومعاداة السامية خاصة، مع الابتزاز الإسرائيلي لألمانيا؟ هل كنت تتلقى تعليمات في هذا الصدد من جريدتك؟

ج: لا، أبدا.

س: هل كتبت ونشرت الجريدة الألمانية التي تراسلها عن بحر البقر واعتداءات إسرائيل على مصر وغيرها في تلك السنوات؟

ج: نعم، كتبت بحيادية وكتبت عن القضية الفلسطينية بموضوعية، إن لنا موقفًا يفوق العرب أنفسهم، فـ(شبيجل) من الصعب أن تمارس عليها ضغوط، نحن مؤسسة صحفية مستقلة مهنية كبيرة، ممكن يحاول البعض حجب إعلانات بعينها، لكن هذا لا يؤثر علينا في نشر المقالات، من ذلك مثلا: ممارسات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكنا نكتب وننتقد القيادة الإسرائيلية، أذكر أننا نشرنا في أحد الأعوام عشرة مقالات عن

الدولة الفلسطينية المأمولة على أرض فلسطين، أظن أن أية مطبوعة عربية لم تفعل ذلك.

إنني أقول: نحن عندما نسمي الجريمة جريمة نكون غير منحازين.

س: كيف تقيم شخصية القذافي باعتبارك صحفيا التقيت بالرجل في بداياته الأولى عقب انقلاب الفاتح من سبتمبر، وما ظل يفعله منذ ذلك العام وحتى اليوم (ربيع 2005) بلا دبلوماسية رجاء؟

ج: هناك أمور معينة لم تتغير في شخصيته منذ أول مقابلة أجريتها معه.

س: مثل ماذا؟

ج: يتكلم بجرأة، ويقول كلاما عنيفا جدا، يتهم الآخرين بتهم ثقيلة بسهولة!!! وأذكر أن آخر مقال كتبه محمد حسنين هيكل في الأهرام كان هجوما وتهكما على معمر القذافي؛ حيث انتقده بشدة لتصرفاته، فقد كان القذافي يتطلع إلى أن يصبح رئيس دولة الوحدة المكونة من مصر وليبيا والسودان، القذافي طوال عمره يتطلع إلى مصر.

س: هل سبق لك أن انتقدت القذافي شخصيا؟

ج: ليس القذافي وحده فلا يوجد أي زعيم أو مسئول عربي أو أوروبي يخلو من أخطاء، ولابد من النقد، وإلا يصبح الصحفي عميلا!!!

س: أنا أتذكر أنك يوما ما إبان ما جرى من تغيرات في توجهات القذافي السياسية ذكرت لي أن: شركة علاقات عامة ألمانية تم توظيفها

بواسطة النظام الليبي للترويج للصورة الجديدة، ولعل ذلك كان بعد تسوية قضية لوكيربي... هل تتذكر اسم الشركة؟

ج: سمعت بالموضوع، لكني لم أكتب ذلك، فلم أتأكد من الخبر.

س: كيف تنظر إلى لبنان حاليا، وقد عشت سنوات فيه قبل استقرارك منذ 1976 في القاهرة؟

ج: أعتقد أن أهم مشاكل لبنان هي: أنه دولة عشائرية، تحكمها الطوائف والعشائر قبل أي شيء آخر، المذهب الديني أو السياسي يأتي دائما بعد العشيرة، الروح والنظرة العشائرية الضيقة لاتزال موجودة، وهي التي تتحكم في لبنان، السنوات منذ انتهاء الحرب الأهلية وحتى اليوم لم تشهد تغييرا للنظام العشائري.

س: حتى حزب الله؟ ألا تعتقد أن أعضاء حزب الله تخلصوا من الولاء العشائري؟

ج: نعم هو حزب غير عشائري، لكنه يرتبط بعلاقة واضحة مع إيران - كما تعلم- لا شك أن ظاهرة حزب الله جديدة في لبنان، وهي مرتبطة بوجود إسرائيل والمقاومة ومشاعر الظلم وبسوريا أيضا، وأعتقد أن حزب الكتلة الوطنية وريمون إده كانوا تجربة لحزب غير مذهبي وطني لبناني.

وعموما، تجربة حزب الله والشيعة فيها أيضا نوع من العشائرية ولا ننس أن ثمة خلافات بين حركة أمل بقيادة نبيه بري وبين حزب الله وحسن نصر الله برغم كون الاثنين شيعة.

س: ما هي رؤيتك لآفاق أو احتمالات حل القضية الفلسطينية كمراقب أجنبي عاش أكثر من خمسين عاما في الوطن العربي، مع الأخذ في الاعتبار ذلك الصعود المتنامي للعامل الديني على الجانبين؟

ج: أنا أرى أن: إسرائيل لن تتمكن من الجمع بين الأرض والسلام، لقد رأيت طيلة الخمسين سنة في هذه المنطقة أن الرأي العام الأوروبي يتغير من التأييد الكامل لإسرائيل إلى الانتقاد لها، ظهر ذلك في بحث أو استطلاع رأي علمي أجرته جامعتان أوروبيتان مؤخرا (عام 2005)، وقد اتضح أن: ستين بالمائة من الأوروبيين ممن لا علاقة لهم بالسياسة يعدون إسرائيل مسئولة عن الظلم والمشكلات الجارية في فلسطين والمنطقة، في الأعوام السابقة لم يكن هذا هو حال الرأي العام في أوروبا.

س: ألا ترى أن معيشة اليهود سابقا في جيتوهات عديدة في الدول العربية مع القبول بهم شعبيا كمواطنين لهم كافة الحقوق يعد وضعًا أفضل من تجمعهم في جيتو واحد كبير في فلسطين يجلب لهم كراهية كل الشعوب العربية المجاورة؟ أو ما قولك في المقارنة بين وضع اليهود وقد كانوا موجودين في بلادنا العربية يعيشون حياتهم كتجار ومواطنين وأحيانا يختار منهم وزراء، وبين وضعهم الحالي كمغتصبين للوطن الفلسطيني يناصبهم العرب والمسلمين العداء كدولة؟ إن اليهود حاليا جسم غريب في المنطقة وكل المنطقة ترفضه، لقد صدرتم لنا المشكلة اليهودية من أوروبا، المشكلة اليهودية صناعة أوروبية ألمانية ... هتلر كان اللاعب الرئيس فيها.

ج: بدون شك، لولا هتلر وما فعله في اليهود ما كان عدد كبير من اليهود قد عانوا وما كان حصل تأييد أوروبي لليهود بهذا الشكل.

اليهود لم يخضعوا في أي وقت لاضطهاد العرب، وأعتقد أنه برغم إصرار شارون وغيره على بناء وتوسيع المستوطنات لا يوجد سوى حل واحد هو العودة إلى حدود يونيو 1967، وحتى هذا يعد تنازلا من الفلسطينيين، وأي حل أقل من هذا لن يجدي في المشكلة، أي أن: الدولتين هما الحل لكل من الفلسطينيين واليهود.

أنا أعتقد أنه في النهاية سيصير اليهود أقلية وعادة ما تذوب الأقلية في الكيان الأكبر، حدث هذا في كثير من الحالات في العالم، إن أوروبا فيها دول تعدادها مليونان وأخرى فيها أربعة وثمانين مليونا كألمانيا، وأخرى فيها ستون مليونا كبريطانيا، الآن توصلت أوروبا إلى صيغة تعايش يكاد يذوب الصغار في وسط الكبار. إذا إسرائيل أجبرت على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وتعود إلى حدود 67 لو حدث ذلك سينتهي حلم إسرائيل الكبرى بالضرورة، وبعد ذلك أعتقد أن حتى الولايات المتحدة الداعمة والحامية لإسرائيل ستجد أن إسرائيل أصبحت في أمان ولا تحتاج للدعم والحماية. إن إسرائيل الكبرى المسيطرة المتجاهلة لقرارات الأمم المتحدة لن يصبح ممكنا.

س: هل تعتقد أنه في المدى المتوسط سينجح حل الدولتين؟ وفي المدى البعيد تضطر الظروف الديمغرافية الدولتين إلى أن يصبحا دولة واحدة؟

ج: نعم ... أنا لا أستبعد ذلك، والمنطلق هو العودة إلى حدود 67، أنا لست متفائلا ولكنني واقعي.

س: التقيت صحفيا بكثير من الزعماء العرب وقد أحصيت لي منهم: هواري بومدين ورؤساء جنوب اليمن والقذافي ونميري وعرفات والسادات وحسين وعبد الله بن عبد العزيز وعبد الله الثاني وعلي عبد الله

صالح وبشار الأسد وحسني مبارك، مَنْ مِنْ هؤلاء تحتفظ له بتقدير خاص؟

ج: أنور السادات، وقد كنت آخر من التقى به من الصحفيين الأجانب وذلك قبل أربعة أيام فقط من اغتياله، وحسني مبارك وقد سألته في مقابلة لم تزد عن ساعة ونصف ستين سؤالا أجاب عنها كلها، ومن العرب ياسر عرفات وبشار الأسد وهو برغم صغر سنه يمكن أن يتطور، ورأيي أنه يحتاج مزيدا من الوقت، وهواري بومدين.

س: ومن هم معارفك من النخب العربية على مدى السنوات الطوال التي قضيتها هنا في المنطقة العربية؟

ج: عميد القصة القصيرة محمود تيمور برغم فارق السن الكبير عندما تعرفت عليه، وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ، وقد كان بمثابة صديقي وليس مجرد معرفة سريعة عبر مقابلة صحفية.

وممن كانوا أصدقاء أيضا: نازك الملائكة العراقية، وعبد العزيز قاسم من تونس، وتعرفت على نزار قباني أيضا .

ومن أصدقائي المصريين بطرس غالي الذي تربطني به علاقة قوية، وميلاد حنا، وسلامة أحمد سلامة منذ كان مراسلا للأهرام في ألمانيا، ومن لبنان لي علاقة وطيدة إلى يومنا هذا بصاحب جريدة النهار غسان تويني، ومن النساء في مصر عرفت كثيرات كجيهان السادات وسهير القلماوي.

س: لقد عايشت صعود التيارات الإسلامية في الثلاثين سنة الماضية كيف تنظر إلى مستقبل هذه التيارات؟

ج: شيء طبيعي، فالخضوع الطويل للاستعمار وضغوطه وسيطرة الثقافات الأجنبية كانت لابد أن تؤدي إلى نوع من التحرر والنهضة الثقافية والدينية، فثمة علاقة أو رابطة بين كل هذه المسائل.

س: وهل ثمة علاقة أيضا بسقوط الاشتراكية؟

ج: أكيد.

س: وهل ثمة مستقبل للتيار الإسلامي في المنطقة في رأيك؟

ج: أعتقد ذلك. وكلما تفتح النوافذ تحدث التفاعلات وهذه ظاهرة صحية.

سؤال مهني مهم وصريح: يتصور البعض سواء ممن تسيطر على تفكيرهم نظرية المؤامرة - أو من لا تسيطر عليهم- أن أعدادا من المراسلين الأجانب يمارسون الجاسوسية وجمع المعلومات لحساب أجهزة المخابرات في بلادهم... ما رأيك أنت؟ ولعلنا نتذكر - أنت وأنا- أن مصر في العقد الأخير من القرن الماضي ضبطت وطردت بعض الصحفيين الأجانب؟

ج: أنا أعتقد أن دولا كبرى كأميركا وروسيا والصين (لم يذكر ألمانيا بلده) لهم مصالح خاصة، وهم يستغلون وجود الصحفيين ويستفيدون منهم بأن يتخذون منهم عملاء... أكيد هناك بدون شك من يؤدي هذا الدور.

س: هل تعرضت أنت شخصيا لمشكلة من هذا النوع؟

ج: ذات يوم كتبت عني ذلك جريدة "المحرر" اللبنانية الساخرة التي كان يرأس تحريرها وليد أبو ظهر، ويمولها العراق في فترة من عهد صدام حسين - وقد سبق أن مولتها مصر أيام عبد الناصر - كتبت "المحرر" تتهمني بالنص أنني كمراسل "شبيجل" في بيروت أدافع عن مصالح جنوب أفريقيا العنصرية، ودعت الجريدة وقتذاك إلى مقاطعة الصحف الألمانية أو شيء من هذا، وكنت آنذاك أعرف الملحق الصحفي العراقي في بيروت فذهبت أشكو إليه، فأملى على رئيس التحرير وليد أبو ظهر وقد كان يومها في زيارة إلى مصر فكتب اعتذارا لي.

س: هل تصر على عدم الخوض في تفاصيل اختطافك في بيروت؟

ج: نعم، أنا لا أريد الخوض فيه.

* * *